(المحددات السوسيو اقتصادية للتوجه الديني في التربية، الأسرة أنموذجا)

- دراسة ميدانية لعينة من المدارس القرآنية في ولاية برج بوعريريج -

أ / حمزة جغبلو ، جامعة برج بوعريريج

ملخص:

يعتبر التوجه الديني خيارا تربويا، يضمن التواجد لنسق من الأفراد ذوي خصوصية ثقافية ليكونوا بدورهم فاعلين اجتماعيين، إلا أن ما يضمن هذا التواجد جملة أوضاع من بينها محددات سوسيواقتصادية التي تعمل على سيرورة هذا النسق وإعادة إنتاجه، تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على عناصر من المحددات السوسيواقتصادية والتي تهيئ الظروف لتوجه ديني في التربية، وهذا من خلال إجراء دراسة على عينة من الأسر التي جعلت من المدارس القرآنية شريكا في العملية التربوية.

الكلمات المفتاحية : المحددات السوسيو اقتصادية، التربية الدينية، التوجه الديني، الأسرة

Abstract:

The religious orientation is an educational option that ensures the presence of The system of individuals with cultural specificities to act as social actors. However, the existence of this presence includes a number of conditions, including socio-economic determinants that work on the continuance of this system and re-produce it. This study aims to highlight elements of sociological determinants, which prepare the conditions for the religious orientation in education, on a sample of families that made the Quranic schools a partner in the educational process. Keywords: Socioeconomic determinants, religious education, orientation.

1- مقدمة:

تعد الأسرة اليوم بإجماع المفكرين، أهم مؤسسة على الإطلاق، بتماسكها تتماسك المجتمعات، وتبنى أمجاد الأمم وصروح الحضارات، ولما لها من أهمية على كافة المستويات، نالت هذه المؤسسة ولا تزال اهتمام المتقدمين والمتأخرين من رجال العلم والفكر، ناهيك عمّا جاءت به مختلف الأديان من نصوص منظمة لها من حيث البناء ومن حيث العلاقات والمعاملات، وزاد الاهتمام بها في الآونة الأخيرة، نتيجة إدراك قطعي لموقعها الإستراتيجي في البناء الاجتماعي العام، باعتبارها لبنة في جدارية المجتمع، وفي ذات الوقت، تبلور نظرة عميقة بخطورة التحولات الحاصلة في مختلف المجتمعات بما فيها مجتمعنا، التي لا تزال تتشبث بنوع من الطبوع المحافظة والتقليدية،

إن قوة هذه التحولات التي طالت كافة مجالات الحياة، والتي فرضتها مقتضيات راهنة، يصطلح عليها بالتحضر أو الحداثة، وبمعنى أدق التحول من أنماط كلاسيكية، إلى أنماط أخرى تجاري المعاصرة مكتفية بشكلها الخارجي البراق، دون الغوص في مضامينها، ممّا أدى إلى تحوير عمل بعض الميكانيزمات الاجتماعية وتعطيل عمل بعضها الآخر، ومن بينها نجد التربية الأسرية.

فبقدر ما أدى هذا التحضر إلى تحسين في معيشة الأسر وفي تدعيم لوظيفتها التربوية بمؤسسات وأدوات عصرية، بقدر ما ألقت بثقلها وضغوطها على هذه الأسرة، خاصة إذا تعلق الأمر بالظروف المحيطة. ممّا يقلل من فاعليتها في أداء وظائفها بشكل أو بأخر. فإذا كانت بعض

الأسر قادرة على الوفاء بمقتضيات العملية التربوية، فإن بعضها الآخر غير قادرة، فتلجأ إلى إسناد هذه العملية إلى جهة أخرى، كنوع من الهروب إلى الأمام،

2- الإشكالية:

فالأسرة ووفقا لما سبق تعد واحدة من المؤسسات الاجتماعية الراسخة، الواقعة في بؤرة تحولات عميقة، تحولات من الأطر الأولية للعلاقات الاجتماعية إلى أطر حديثة . ولأنها المسؤولة الأولى عن العملية التربوية في مختلف المجتمعات، فهي تعمل على تلقن القيم والمعايير الثقافية الخاصة بها، حيث بإنتاج وإعادة إنتاج تنتج وتعيد إنتاج مختلف القواعد الضابطة لسلوك أفرادها، موضحة بذلك كيفية الاندماج في الجماعات المحيطة بها، محولة بذلك الفرد من حالته البيولوجية إلى كائن اجتماعي وثقافي، من خلال مراحل التنشئة الاجتماعية التي تقوم بها إلى جانب مختلف مؤسسات التنشئة .

في خضم هذه التحولات، تعيش هذه المؤسسة مجموعة من الضغوط على أكثر من صعيد ومستوى، داخليا وخارجيا، ضغوطات مادية اقتصادية وأخرى اجتماعية، في إطار هذا الأخذ والرد أصبحت الأسرة محل اهتمام كبير من طرف المهتمين بالعملية التربوية، يتعلق الأمر : بقواعد الضبط الاجتماعي العام، وإمكانية التحكم فيها من طرف هذه المؤسسة، في ظل فاعلية أطراف جديدة ممثلة في مؤسسات تقوم بالعملية التربوية، لكن على طريقتها ووفق أهدافها الخاصة : كالتلفاز، مقاهي الانترنيت ... والتي تحمل في طياتها مضامين تربوية خارجة عن الإطار الذي دأبت عليه الأسرة والبيئة الاجتماعية التي تنتمي إليها، مم أدى إلى تحول في الأنماط الاجتماعية بما في ذلك الأنماط التربوية مع ما يتماشى والمتغيرات الجديدة .

تقوم عملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية على نموذجين نموذج تقليدي والآخر حديث ففيما يتعلق بالتربية التقليدية تقوم على "التلقين" مع إمكانية التحكم في المحيط التربوي، الذي يكون في غالبية الأحيان محاط بمناخ ضابط للمعايير الثقافية والآداب العامة التي تحافظ بدورها على النسق الثقافي العام، أما التربية الحديثة فتقوم على "التأهيل والإعداد" المستمرين ممّا يتطلب من الأسرة وبالأحرى الوالدين قدرة فكرية ومستوى تعليمي يتماشى والمتغيرات الراهنة .

ونظرا لاختلاف الإمكانيات المادية والفكرية لكل أسرة، فإن لكل منها وضع يميزها وأسلوب تربوي خاص بها دون غيرها، تراه مناسبا لأبنائها في حدود إمكانياتها، وعلى هذا الأساس جاء تساؤلنا العام كالتالي : في هذا الإطار تحاول الدراسة البحث في بعض المحددات السوسيواقتصادية للتوجه الديني في التربية لدى الأسرة باعتبارها مؤسسات لإعادة إنتاج النمط الثقافي؟

حيث أجريت على عينة تتكون من173 أسرة من دوائر ولاية برج بوعريريج تم جمعها بطريقة كرة الثلج (أو ما يعرف بالعينة التراكمية)

وبغية الإلمام بالدراسة تم تقسيمها إلى خمس محاور تناول الأول منها : مفاهيم الدراسة ، أما الثاني فتناولنا من خلاله التربية الدينية في الإسلام ، في المحور الثالث تطرقنا إلى التربية الدينية في الأسرة ، أما الرابع من المحاور فكان حول محددات المستوى الاقتصادي للأسرة وبالنسبة للمحور الخامس والأخير فكان حول علاقة المستوى الاقتصادي بالعملية التربوية .

1- تحديد المفاهيم:

1-1- المحددات الاجتماعية والتي تشكل وضعا:

تدل عبارة الوضع على الموقع الذي يحتله جزء من كل، أو فرد ضمن جماعة معينة، ولا يعتبر الوضع بحد ذاته جملة من الحقوق والواجبات التي لا تتغير، والتي يصطلح عليها بالوضع المفروض، فالوضع لا يمكن التهرب منه وهذا لاقترانه بإلزامية التي مصدرها إما الطبيعة أو المجتمع.

ويمكن الحديث عن وضعيات تكتسب، سواء بالنسبة للوضعية التي يتواجد فيها الفرد أو وضعيات أخرى، باعتبار أن هذا الأخير يخضع للقوانين الخاصة بالتغير الاجتماعي وإمكانية التدرج في سلم الحراك.

الوضع عند" غي روش" عرفه أنه:" بنية البيئة كما هي مركبة، تتعلق بالرغبات وحاجيات الشخص في نوع من الحالة النفسية، إن هذه الديناميكية في التفاعل تُحدث وضع(SITUATION). ومنه فالأفراد ليسو خارج الوضع بل هم جزء منه، فالأشياء والحوادث والمؤسسات الاجتماعية جميعها عناصر من الوضع، وهذه العناصر تتداخل فيما بينها في إطار عملية ديناميكية، بحيث أن مجموعها يحدد بنية المجال الاجتماعي للوضع.[1]

وفي هذه الدراسة للوضعية الاجتماعية إشارة إلى الملامح التي تموقع الفرد أو مجموع الأفراد أو طبقة اجتماعية ضمن نطاق مجال اجتماعي. ولتحديد مفهوم الوضعية الاجتماعية للأسرة، قمنا بضبط متغيرين هما:

- الوضعية الاقتصادية والمادية للأسرة : ونقصد بها مختلف الإمكانيات المادية التي تتمتع بها الأسرة، والتي تكون أجرا لقاء عمل أو كأرباح في تجارة أو مداخيل لقاء ريوع أو ميراث. أو عوائد بيع عقار أو تكون بعض هذه المداخيل أو كلها مجتمعة بالإضافة إلى عدد أفراد الأسرة.

1-2- الأسرة :

من المفاهيم التي حضت باهتمام كبير من طرف الباحثين والمهتمين، في مختلف الميادين خاصة العلوم الاجتماعية، بالرغم من أنهم اختلفوا في تعريفهم لها حسب بنائها ووظائفها وأنماطها معيشتها، غير أن معظمهم اتفق على أربع معايير أساسية هي :

- معيار الرابطة القانونية أو الشرعية بين الرجل والمرأة اللذين هما الزوجين. - الرابطة البيولوجية والتي هي بين الآباء والأبناء .

- الرابطة المجالية وهي الاشتراك في مجال معيشي واحد وهو البيت.

- الرابطة الوظيفية والعضوية وهو وجود نوع معين من التعاون والإحساس والشعور المشترك بالهموم. مع العلم أن هذه المعايير نسبية لتحديد مفهوم الأسرة. حيث توجد أسر دون علاقة دموية كما الحال مع التبني كما أن العلاقة القانونية والشرعية بين الزوجين تختلف من مجتمع لآخر. وأيضا من حيث الاتساع والتركيب والمعيشة لذا فالمعايير المذكورة تبقى نسبية وهي اقرب لمجتمعنا.[2]

1-3- التربية الدينية:

لمفهوم التربية تعاريف كثيرة ومتنوعة، تختلف باختلاف الأسس التي استندت إليها والغاية منها، إذ يستخدم مصطلح التربية في قاموس التربية، ليشير إلى جميع العمليات التي يتم بواسطتها تنمية قدرات الشخص، واتجاهاته، وأشكال سلوكه الأخرى، وتنمية القيم الايجابية التي يؤكد عليها المجتمع الذي ينتمي إليه.

فبالنسبة لدوركايم وأثناء تناوله لهذا المفهوم في دراسته الشهيرة "التربية وعلم الاجتماع" يعرفه على أنه :"عملية تهذيب وترويض لطبيعة الإنسان الحيوانية، وإثارة الطبيعة الاجتماعية الكامنة في الإنسان لتحل محلها وهي بذلك تكيف الأفراد مع ظروف المجتمع الذي يعيشون فيه أي مع البيئة التي يعيشون فيها".[3]

لذلك يؤكد على أن التربية لا تسعى إلى تحقيق الإنسان على نحو ما حددته الطبيعة بل الإنسان على نحو ما يراه المجتمع.

فالتربية عملية هادفة على حد تعبير دوركايم، تسعى لتكوين الجانب الاجتماعي والثقافي للإنسان. وهذا بتغليب الفطرة على الغريزة والتهذيب وفق ما يقتضيه المجتمع وثقافته باكتساب المهارات المطلوبة اجتماعيا عن طريق إنماء وتنمية الشخصية.

والتربية في بعدها الثقافي، عملية اجتماعية تعني بتطبع الفرد على مستوى معين من الخلق والسلوك، وتكسبهم المهارات في مختلف الفنون والخبرات العلمية، لذا هي تختلف من مجتمع لآخر تبعا للظروف الخاصة بكل مجتمع، أما من الناحية العملية فهي موقف تفاعلي بين المربّي والمتلقّي، حيث يكون العطاء من المربّي ويكون التأثر والانفعال من المتلقّي الذي يؤثر على العملية التفاعلية تعديلا وتطويرا وفق الاستعدادات الوراثية والمتغيرات الاجتماعية. كذلك الأمر بالنسبة في المجال الديني إضافة إلى اقترانها بالمرجعية الدينية أو الفرقية .

1-4- الاتجاه:

لغة: من الفعل "تواجه" وُجهة أو وِجهة، أي خط سير صوب مكان مقصود وهو موضع الاتجاه لقد تطرق بعض المفكرين إلى هذا المفهوم إذ نجد:

بوجاردس: الذي يرى بأن العلاقة وثيقة بين الاتجاه والقيّم، حيث يقول في هذا الصدد أن

كل اتجاه مصحوب بقيمّة وأن الاتجاه والقيمّة وجهان لعملة واحدة، ولا معنى لأحدهما دون الآخر. فحياة الإنسان الحقّة خاضعة لتوجهات وقيّم.[4]

وأول المحاولات لمعرفة الاتجاهات الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية هو ما قام به بادوين وزملاؤه سنة 1945 عندما درسوا العلاقة بين (30) متغير من متغيرات المعاملة الوالدية على عينة تتكون من 124 أسرة. وتبين أن هناك ثلاث اتجاهات والدية في التنشئة الاجتماعية وهي: الديمقراطية. التقبل. التدليل.[5]

وعندما نتحدث عن مفهوم الاتجاه في التربية، فإننا لا نتحدث عن مفهوم الاتجاه النفسي. وإنما نتحدث عن نمط في عملية التربية، وقد أشار مصباح عامر على أنه: "أسلوب أبوي كما يدركه الأبناء في نقل القيم والعادات والنماذج السلوكية والمفاهيم الاجتماعية إيزاء قضية معينة والخبرات والمهارات الاجتماعية للأبناء من أجل تشكيل اجتماعي مقصود أو غير مقصود.

وانطلاقا ممّ تمّ الإشارة إليه يمكننا تحديد مفهوم الاتجاه في هذه الدراسة على أنه "الطريقة المبنية على أسس الوضع القائم، ونحوها نحو الغاية المنشودة والرابط بينهما عملية تفاعل ذات طابع تراكمي تخضع لمتغيرات".

2- التربية الدينية و الإسلام:

يعتقد البعض أن القصد من كلمة التربية هنا هو ما يعنيه علماء التربية المحدثين حينما يتحدثون في كتبهم وأبحاثهم عن التربية الدينية. يرون فيها، " ترقية المُربي لوجدان الطفل وعواطفه الدينية، وغرسها في نفسيته. إذ نجد من بينهم: "هنري لانك" يقول في كتابه العودة للإيمان: " أنه ينبغي على التربية أن تقود الطفل وترشده إلى معرفة نفسه الداخلية، وتقدير لطبيعته الإنسانية، والثقة بوحدانية الله " ثم يضيف قائلا: "أن أسمى أنواع التربية وأكثرها عطاء للطفل هي التربية الدينية والتي تهدف إلى النمو الروحي والتهذيب النفسي وتنمية السلوك، وفقدانها يؤدي إلى اللاطمأنينة."[6]

من هنا نرى أن التربية تمتاز أولا: بالاقتصار على العواطف والوجدان فحسب دون أن يكون لها تأثير على المنطق والفكر. وثانيا: تمتاز بابتعادها عن الحياة العلمية.

أما التربية الدينية في الإسلام فتختلف عنها اختلافا كليا لا يدع مجال للمقارنة، إذ تتجه حسب رمضان البوطي (رحمة الله عليه) إلى الفكر والمنطق الخالصين من الشوائب العاطفة والوجدان، ثم تتجه بعد ذلك- أي بعد تأثيرها في مجال الفكر- إلى وضع سلوك الأفراد ضمن خطط وقوالب وضعتها شريعة هذا الدين ابتغاء إيجاد أكبر قدر من الانسجام والتناسق بين الإنسان ونوازعه الفطرية في هذه الحياة.[7]

ومن خلال ما سبق يمكن تعريف التربية الدينية في الإسلام على أنها: الأسلوب المتميز الذي اتخذه الإسلام لتنشئة الطفل إيمانيا، وهذه التربية وعلى مرّ التاريخ لم تكن يوما منعزلة عن التطور الحضاري الإنساني والتقدم العلمي، لذا يمكن أن نقول أنها تربية مفتوحة الحدود وممتدة الأرجاء شاملة لكل ما في الحياة.[8]

ومنهج التربية الإسلامية يختلف اختلافا جوهريا على كل المناهج البشرية وهنا يكمن نجاح المنهج الإسلامي في تربية الأطفال إذا التزم به وطبق تطبيقا صحيحا وللتربية الإسلامية جملة من المميزات والخصائص منها، التوازن الاعتدال الواقعية والتطبيق.

إلى جانب حفظ القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية، تعد هذه التربية، تنمية للفكر الإنساني، وتنظيم سلوكه وعواطفه. على أساس يهدف إلى تحقيق أهداف الدين في حياة الفرد، والجماعة في أي مجال من المجالات.

والدين الإسلامي من هذا المنطلق، يعنى بعقل الفرد وفكره وتصوراته في الوجود بالإضافة إلى علاقاته المختلفة، والغاية من هذا كله. وقد قدم لنا الدين العقيدة التي يجب على الإنسان أن يؤمن بها لكي تحرك في نفسه الأحاسيس وتغرس العواطف الجيدة. بأن تدفعه إلى السلوك الذي وضعته الشريعة في شكل أوامر ونواهي سواء كان هذا السلوك فردي أو جماعي.[9]

إذ أن الجانب الإيماني يقدم أساسا راسخا لعقيدة ثابتة، وتصورات واضحة ومترابطة، وأهداف منيرة. والجانب التشريعي يقدم لنا قواعد وضوابط نقيم عليها سلوك وننظم بها علاقات، فهي بذلك تحدد خطة حياة. أما بالنسبة للجانب التعبدي، فهو سلوك المسلم، الذي يحقق به كل التصورات والأهداف والضوابط والأوامر التشريعية . والعملية التربوية هي تنمية شخصية للإنسان على أن تتمثل كل هذه الجوانب في الانسجام وتكامل وتوحد معه طاقات الإنسان، وتتضافر جهوده لتحقيق هدف واحد تتفرع من جميع الجهود والتصورات وضروب السلوك والتي تكون أساسا راسخا لتنشئة الأطفال.[10]

أما بالنسبة بالنسبة لأهداف التربية الدينية من وجهة نظر كلية. هي أن يتعمق الطفل في فهم الكون ويتلمس قدرة الخالق، ويشعر بعظمته وحكمته، ويترتب بناء على هذا العديد من الآثار التربوية منها:

- ارتباط الطفل بخالق الكون بأن يعرف الهدف الأسمى من هذا الخلق وهو عبادة الله.

- تربية الطفل على الجدية، فالكون كله أُقيم على أساس الحق. ويتم ترسيخ هذا في عقل الطفل تدريجيا. عن طريق الأمثلة والنماذج ونحو ذلك، أثناء تناول القصص القرآني وغيرها بتجسيد ظواهر الكون وتقريبها لعقل الطفل ليعرف أن لهذا الكون خالق مسير بحكمته ومدبر بعظمته وقدرته.

- ضرورة أن يعرف الطفل بأن كل ما في الكون مسخر لخدمة الإنسان وذلك من شأنه أن يربي عواطف الطفل انفعالاته على الخضوع لله .

وإن كانت التربي الدينية الإسلامية تهدف إلى تنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه على أساس ديني بقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة في جميع جوانب الحياة. وتنبع فإن خصائص التربية الدينية من خصائص الإسلام الحنيف و الممثلة فيما يلي :

- الربانية: أي أنها جاءت من عند الله سبحانه وتعالى.

- الإلزامية: أي أنها تلتزم بصفة الجبر والإلزام، وعلى كل مسلم أن يلتزم بقيمها.

- الأخلاقية: فالدين أخلاقي كونه يدعو للتمسك بالأخلاق الحسنة ويأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر.

- الواقعية:حيث راعت التربية الإسلامية واقع الإنسان وظروفه وهدفت إلى إسعاد الفرد والمجتمع بالإيمان بالله وعبادته وإعمار الكون.

- التوازن:فالتربية الإسلامية متوازنة كونها تهتم بالروح والجسد كما تهتم بالدنيا والآخرة، وتستند إلى العلم والعمل.

- الشمولية والتكامل : فهي لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الحياة، بل يشمل اهتمامها كل الجوانب، الدنيا والآخرة. وللإنسان بكل جوانبه وأبعاده.بأن لا يكون تعارض أو تناقض.

- الإنسانية: فهي رسالة عالمية جاءت للناس كافة ودعتهم إلى عبادة الله لا شريك له واختصت الإنسان دون غيره من المخلوقات.

- الوضوح: حيث أنها واضحة المعالم والأركان، مميزة بين الخير والشر، والحسن والقبح والجنة والنار. [11] ...(بتصرف).

3- التربية الدينية في الأسرة:

الأسرة هي المحيط الاجتماعي الأول الذي يحتضن الطفل في بداية حياته، إذ أنه يكون في هذه الفترة مادة خام قابلة للتشكيل وفق أي شكل أو نموذج، ومن ثم فإن ما تقدمه الأسرة للطفل هو الذي يصنع شخصيته الأولى، وبذلك فالأسرة هي الجماعة الأساسية التي تكسب الطفل خصال اجتماعية ونفسية ومعرفية للمجتمع، كما أنها تكون الوسيلة التي يُبنى بها الطفل بناءا سليما، وفي المقابل الوسط الذي تتحطم عليه شخصية الطفل. فالأسرة هي التي تُكسب الطفل المعايير العامة السائدة في المجتمع، كما أنها تكسب المعايير الخاصة بها والتي تفرضها هي عليه، وبذلك تكون مؤسسة المجتمع الأساسية في الحفاظ عليها، وعلى التراث الثقافي والحضري.

ويحتاج الطفل في بداية حياته إلى سند للوصول إلى مرحلة الاعتماد على الذات ففي الأسرة يتعلم المعاني، كما أنها تكسبه القدرة على الاستقرار في القرار، والحرية في التفكير. ويتعلم خصائص وسمات الشخصية الفاضلة، كالشجاعة والصبر والمعاملة الحسنة للآخرين، وهذا الأمر يتم في حالة أخذ الأسرة لمسؤولياتها في التنشئة الاجتماعية، وأنماطها الفعالة في سلوك الطفل، وفي مقابل هذا كله جنوح الأسرة عن مسؤولياتها الاجتماعية أو تبنيها للأساليب الخاطئة في التطبيع الاجتماعي يؤدي بالكثير إلى المزالق والانحرافات، كما أن تقاعس الأسرة على أدائها لمهامها في التربية الاجتماعية والتنشئة الصحيحة وإلقائها وتركها لأطر أخرى كالشارع ووسائل الإعلام الغير مراقبة تؤدي هي الأخرى إلى أشكال من الجنوح والانحراف.[12]

وتظهر أهمية الأسرة كذلك في كونها المدد الحقيقي لتوجهات الفرد الفكرية والسلوكية، وبناء مواقف نحو مختلف الموضوعات الخارجية، وفي هذا الصدد تؤكد الكثير من البحوث النفسية والاجتماعية بما لا يدع مجالا للشك، على أن السمات والخصائص الشخصية التي يتميز بها الفرد في مرحلة الرشد هي نتيجة لما اكتسبه بعد ولادته من الأسرة، ونتيجة تفاعله مع الأساليب التربوية المعينة في محيط الأسرة.

كما يؤكد كبار العلماء الواضعين لنظريات تربوية، أن خيال النشأ في عامه الثالث يبدأ بتقمص سلوك الآباء والأمهات. ويحفظ الأبناء بالنماذج السلوكية التي يلاحظونها على آبائهم في خيالهم ونفسيا تهم، ثم تغدو سلوكا تلقائيا في حياتهم الاجتماعية، فإذا كانت هذه النماذج السلوكية ومعتدلة، فهذا يدل على أن شخصية الطفل شخصية سليمة، تتوفر على خصائص إيجابية في نظر المجتمع، وإذا كانت النماذج فاسدة كان العكس.[13]

ترتكز التربية الدينية الأسرية على جملة من الأسس نوجزها فيما يلي :

3-1 - التفاعل الأسري وأثره التربوية: يقصد بالتفاعل الأسري تلك العلاقات التي تتكون بين أعضاء الأسرة وتكون محل جذب وارتخاء وأخذ وعطاء، وخلال هذه العملية يتعلم الفرد الكثير من الخبرات الاجتماعية والمبادئ السلوكية، وهو لا يتعلق بناحية من نواحي الحياة وإنما يمتد ليشمل جميع مجالات الحياة الاجتماعية التي يتفاعل الطفل معها [14]، وحتى يتعلم الطفل من هذا الجو الأسري، والتفاعل الاجتماعي لابد من توفر مجموعة من الشروط .

3-2 - القبول الاجتماعي: وهو شعور يحس من خلاله الطفل أنه مقبول ومحبوب من قبل والديه ومرغوب فيه، حتى يتهيأ نفسيا لقبول ما يلاحظه داخل الأسرة، ويملك جميع القدرات العقلية، ليعي ما يطرح عليه من نماذج سلوكية وآداب وتوجهات اجتماعية، وفي هذه الحالة يتم التأكيد على عامل الثقة الذي يجعل الطفل يأخذ عن والديه، ولا يتأتى هذا العامل إلا من خلال الجو الاجتماعي الدافئ للأسرة.

3-3 - تلقين المبادئ الأولية: حيث يتم التأكيد في هذا العنصر على ضرورة أن يكون المحيط الأسري هو المحيط الذي يلقن الطفل المبادئ الأولية في التعامل مع المجتمع، وتعلمه بعض النماذج التي يعطونها أهمية وأسبقية، وهذا يكون عن طريق ما تتيحه الأسرة من فرص للحديث عن الحياة وحقوق الآخرين.

3-4- المرجعية الثقافية والفكرية: تعد الأسرة المرتع الآمن الذي يتعلم فيه الطفل مجموع العادات الحسنة، والأطر الفكرية والثقافية المتبناة من طرف الأسرة والمجتمع ككل بما في ذلك الدين، بمحتواه الإيديولوجي والعقائدي وهذا ما يدفعنا لتناول العنصر التالي.

3-5 - بناء الاتجاهات الاجتماعية: وهذا نحو مختلف المواضيع الخارجية، فعن طريق السلطة السائدة في الأسرة ومن ثم سلطة العرف وسلطة القانون، في إطار منظومة كاملة من الحقوق والواجبات التي أقرها المجتمع.[15]

4- محددات المستوى الاقتصادي للأسرة:

يرتبط مفهوم الوضع بالمستوى ضمن سلم تصنيف معين، باعتبار أن العامل الاقتصادي أحد أهم أبعاده، فالوضع المادي للأسرة يحدد ضمن مستويات متباينة في البناء الاجتماعي، ومنه تأثر في نتائج نشاط الأفراد المتواجدين فيها بصفة عامة. كما قد يعمل على تشكيلهم خاصة إذا كان في طور التنشئة والتكوين، والمُترجمة في كثير من الأحيان الى المستوى المعيشي. فتدني هذه الأخيرة والذي هو بدوره نتاج اجتماعي معين، يخلق بدوره جوا خاصا به، من حيث الشكل والبنية، بفرضه لتوجهات وتطورات تمس كل ما يحيط بالأفراد حتى صغائر الأمور، كما يفرض محدودية التصور في التوجه والرعاية والحماية وتلبية مستلزمات الحياة بصفة عامة والحياة الدراسية بصفة خاصة للأبناء.

إذ توجد مؤشرات عديدة ومختلفة تكشف وضع الأسرة الاقتصادي، لعل أهمها مستوى الدخل الذي يكشف بصفة مباشرة على حال الأسرة الاقتصادية كما توجد مؤشرات غير مباشرة مثل عمل الأب الإضافي ودخول الأبناء عالم الشغل في وقت مبكر...(الخ).[16]

وبناء على هذا نتناول هذا العنصر من خلال المحددات التالية:

4-1 - الدخل الأسري: يأتي الدخل الأسري والذي يمثل الجانب الاقتصادي، في مقدمة الشروط أو العوامل المكونة والمحيطة بالأسرة، والتي تلقي بظلالها على أفكارهم وتوجهاتهم، إذ أنه عبارة عن كل ما تملكه الأسرة وتتمتع بحق التصرف فيه، لتلبية مختلف الاحتياجات، هذه الاحتياجات لا تتوقف أو تقتصر على فترة معينة بل هي عملية مستمرة وفق مؤشرات متغيرة، والتي تبدأ بتكون هذه الأسرة وتستمر معها طوال بقائها، غير أن الحياة الأسرية الحديثة تفرض على كل فرد من أفراد الأسرة عملا اقتصاديا أو وظيفة اقتصادية يؤديها، إما العائل وحده أو معه من يعينه، لأن في كثير من الأحيان لا يكفي دخل الأب لوحده دون مساعدات أخرى، كعمل الأم أو الأبناء وكثير ما يكون الدخل المحدود مصدر مشاكل وقلق اجتماعي داخل وخارج الأسرة. وكثيرا ما يكون مصدر إحباط خاصة إذا عجز الفرد عن تحقيق مطالبه وإشباع رغباته وحاجاته، لاسيما في علاقته مع أقرانه وزملائه، فإذا شعر بالدونية أي النقص، كان من الصعب عليه الدخول في علاقة ودية معهم، لضعف ثقته بنفسه وأهله، وقد يذهب إلى أبعد حد من ذلك كأن يلجأ إلى تصرفات لا تتناسب مع القيم الاجتماعية والمعايير الأخلاقية، دفاعا، وهروبا، وانتقاما، وتعويضا بطريقة لاشعورية. إلا أن هذا الأخير الذي تظن أنه مصدر استثنائي في الدراسة التي أثبتت أن اختيارات أدت إلى التأكيد على العلاقة بين النتائج المدرسية للتلاميذ ودخل الآباء لكن هذا ليس دائما صحيحا.

إذ غالبا ما نجد النتائج الجيدة عند التلاميذ الفقراء. ففي هذه الحالة يتم تعويض طموح الآباء، بطموح الأبناء وتشبثهم بفكرة المتابعة والاستمرارية وطلب ما هو أفضل، هذه الدراسة أجراها 'كريستوفر جينك' سنة 1979 في الولايات المتحدة الأمريكية.

جدول رقم (01): يمثل العلاقة بين مستوى الدخل ونوع القيم .

نوع القيم / مستوى الدخل	قيم إسلامية		قيم معتدلة مرنة		قيم تقليدية		قيم عصرية		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
أقل من 18000 دج	05	41،67	02	16،66	05	41،67	-	-	12	100
18000-23000دج	16	47،06	14	41،18	04	11،76	-	-	34	100
23000-28000دج	18	37،5	13	27،08	11	22،92	06	12،50	48	100
28000-33000دج	21	48،84	14	32،56	05	11،63	03	6،97	43	100
33000-38000 دج	22	42،31	23	44،23	03	5،77	04	7،69	52	100
38000-43000دج	23	50،00	13	28،26	07	15،22	03	6،52	46	100
أكثر من43000 دج	26	41،27	24	38،09	06	9،52	07	11،11	63	100
المجموع	131	43،96	103	34،56	41	13،76	23	7،72	298*	100

من خلال الجدول أعلاه يتضح أن 43،96 % من مجموع الإجابات المقدر بـ : 298 إجابة تتبنى قيم إسلامية، تليها القيم المعتدلة المرنة والتي بلغت نسبتها 34،56 %

*) -298 : هو عدد الإجابات كون السؤال يقتضي أكثر من إجابة

أما القيم التقليدية فقد حلت في المرتبة الثالثة بنسبة 13،76 % وأخيرا القيم العصرية التي حلت في المرتبة الأخيرة بنسبة 7،72 % . وبإدخالنا للمتغير المستقل والمتمثل في مستوى الدخل اتضح مايلي :

- تلاحظ من خلال الجدول أن هناك إقبال على تبني القيم الإسلامية، إذ تجد أن أعلى نسبة والتي تشير إلى 50،00 % تخص فئة الدخل [38000 – 43000 دج] أما عن أصغر نسبة فهي تخص فئة الدخل23000- 28000 دج والمقدرة بـ 37،50%.

- أما عن القيم المعتدلة المرنة، سجلنا أعلى نسبة والمقدرة بـ : 44،23% ممثلة لفئة الدخل (33000 – 38000 دج) أما عن اصغر نسبة والمقدرة بـ 16،66 % فكانت ممثلة لفئة الدخل أقل من 18000 دج

- وبالنسبة للقيم التقليدية فكانت أعلى نسبة والمقدرة بـ 41،67 % ممثلة للفئة أقل من 18000 دج . أما عن أصغر نسبة فقد كانت تخص فئة الدخل (33000 – 38000 دج) والمقدرة بـ5،77%.

- وأخيرا القيم العصرية التحررية، فنجد أن أعلى نسبة والمقدرة بـ :10،94 % تركزت عند أعلى فئة دخل وهي فئة (أكثر من 43000 دج) شهريا، وهي معدومة تماما في الفئتين (أقل 18000 دج والفئة من 18000 – 23000 دج) شهريا الأكيد أن هذه النتائج تعبر عن التوجهات العامة التي تتبنها الأسر، رغم اختلاف المفاهيم والحدود القائمة بين كل توجه من التوجهات المذكورة سلفا فيأتي الاختلاف في مدى تطبيق كل منها على الرغم من التوجه العام للمجتمع وكذا مدى توفر الوسائل المساعدة بدأ بالمحيط والضغوط التي يمارسها الشارع والرفاق،

الفضائيات وحتى الانترنيت وما يستخلص من هذه النتائج أن التوجه العام لازال محافظا على حاله رغم ما يشاع من تغير القيم، فكل الشرائح الاجتماعية تحرص على غرس قيم ومعايير تؤمن بها وتعتقد فيها وهي القيم الإسلامية .

2-4 - حجم الأسرة والمنطقة السكنية: يؤثر ويتأثر حجم الأسرة إشارة هنا إلى العدد والنوع (نووية، ممتدة) بطبيعة الوسط الذي ننتمي إليه، بحيث يؤثر الوسط من خلال استغلال المجال السكني لتلبية حاجيات أفراد الأسرة، فحاجيات الإنفاق تقدر للأسرة حسب مراحل تكوينها، ففي المرحلة الأولى تكون الأسرة في طور التكوين والتأسيس ذات نفقات محدودة مقارنة بالأسر الأخرى التي تكون متعددة الأفراد، خصوصا إذا كان لديها أطفال في مرحلة الدراسة، تلي ذلك المرحلة الثانية التي تبدأ بالتكاثر، حيث تزيد النفقات بتزايد عدد الأفراد وتتزايد متطلباتهم من أكل ولباس وعلاج....أما بالنسبة للمرحلة الثالثة والتي يلتحق فيها الأطفال بالمدارس، تزيد متطلباتهم أكثر شيئا فشيئا حتى الطور الجامعي، لذا نجد البعض من الحالات ممن لا يستطيع التكفل بمصاريف التعليم قد تضطر إلى سلوك مسالك أخرى، كفصل الأبناء علن الدراسة. أو توجيههم إلى نوع من الدراسات التي لا تتطلب نفقات. وسنحاول فيما يلي معرفة تأثير المنطقة السكنية أو الحي في درجة الحرص على الأبناء، إذ يعتبر الحي من عوامل بناء الجماعات الأولية في إطار علاقاتها العامة كما أنه مؤشر من مؤشرات التوجه الاجتماعي العام، وبطول الإقامة في أي حي من الأحياء تزداد فرص تكوين علاقات اجتماعية مع الجيران، في إطار عملية الاندماج التي تتم على أكثر من مستوى تبدأ بلعب الأطفال مع بعضهم البعض وتتطور بتطور الفترات العمرية لتكسبهم صفات ومميزات الجو الاجتماعي العام، ففي كثير من الأحياء يفقد الوالدين سيطرتهما تدريجيا على التحكم في الأولاد وهذا طبعا راجع للتأثير الكبير الذي يلعبه الشارع وجماعة الرفاق غير أن هذا كله يختلف من حي لآخر ومن منطقة لأخرى، (وهذا في إطار جو اجتماعي عام) وسنحاول في الجداول الآتية توضيح العلاقة بين نوع الحي وبعض المتغيرات والمتمثلة في (الحرص، تنظيم لأوقات، نوع القيم) .

جدول رقم (02) : يمثل العلاقة بين نوع الحي ودرجة الحرص على الأبناء .

درجة الحرص / نوع الحي	حريص جدا		إلى حد ما		لا أحرص		المجموع	
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%
حي راقي	18	100،00	-	-	-	-	18	100،00
حي شعبي	80	57،14	48	34،28	12	8،57	140	100،00
حي قصديري	3	20،00	9	60،00	3	20،00	15	100،00
المجموع	101	58،38	57	32،95	15	8،67	173	100،00

يجسد هذا الجدول العلاقة بين نوع الحي الذي يقطنه أفراد العينة، ودرجة الحرص (التي يتبنها كل على طريقته) إذ تبين أن 58،38 % من مجموع أفراد العينة والمقدر بـ 173 حالة حريصين جدا على غرس قيم معينة لدى أبنائهم، أما نسبة 32،95 % كانت لدرجة الحرص الثانية (إلى حد ما) أما عن درجة الحرص الثالثة والتي هي (لا أحرص) فقد اقتصرت نسبتها على 8،67 % .

وبإقحامنا للمتغير المستقل والمتمثل في نوع الحي تبين ما يلي:

- أن القاطنين في الأحياء الراقية جد حريصين على غرس قيم لدى أبنائهم، وهذا الحرص القوي تعبر عنه النسبة الكاملة 100،00 % مقابل القاطنين في لأحياء الشعبية والتي كان تمثيلهم لدرجة حرص الأولى متوسط في العموم إذ قدرت بـ : 57،86 % وأخيرا أصحاب الأحياء القصديرية الذين لم تتعدى نسبة الحريصين جدا حسب التصريحات 20،00 % .

- أما درجة الحرص الثانية (إلى حد ما) فنجد أكبر تركز للنسبة عند القاطنين في الأحياء القصديرية أو الفوضوية هذه النسبة التي بلغت 60،00 % مقابل الأحياء الشعبية كأصغر نسبة وهي 32،28 % وتنعدم عند أصحاب الأحياء الراقية .

- لتبقى درجة الحرص الأخيرة في هذا التصنيف (لا أحرص) إذ تبين أن 20،00% من القاطنين في الأحياء القصديرية لا يحرصون على أي نوع من القيم لدى أبنائهم وهم بذلك ممثلين لأكبر نسبة.أما أصغر نسبة فيمثلها أصحاب الأحياء الشعبية بنسبة 8،57%، وتنعدم تماما عند أصحاب الأحياء الراقية .

مع اختلاف درجة الحرص بين هذه الأحياء . نشير كذلك إلى اختلاف مفهوم الحرص بين مختلف هذه الأحياء وكذا المناطق ومن ثم تختلف أنواعه وكذا كيفية تطبيقه لعدة اعتبارات.

يأتي في مقدمتها المستوى العلمي والثقافي والذي سنأتي إلى تناوله فيما بعد . فبالنسبة إلى الأحياء الراقية كثيرا ما ينتمي القاطنون فيها إلى مستوى لا بأس به من حيث المستوى المادي وكذا المستوى العلمي والثقافي، فتجدهم يهتمون بكل ما يخص الطفل، فيحطون به إحاطة تامة، تكون له بمثابة المناعة الاجتماعية، فينشئونه على نحو ما يرون فيه النموذج الأمثل .

أما عن القاطنين في الأحياء الشعبية فيختلف مفهومهم للحرص على سابقيهم كما تختلف درجته . إذا أنهم يحققونه في حدود قدراتهم سواء المالية أو الفكرية والعلمية .

3-4 - المسكن: كان وما زال المسكن الفضاء الذي يلم شمل الأسرة باختلاف طبقاتها وتوجهاتها، فلا يمكن اعتباره حاجة مادية بقدر ما هو ضرورة ملحة، فهو" نواة الاجتماع الإنساني" على حد تعبير ابن خلدون[17]، بالإضافة إلى المنطقة السكنية تأتي طبيعة المسكن. كمتغير هام في العملية التربوية إذ يوضح الجدول التالي نوع المساكن التي تقطنها عينة الدراسة.

جدول رقم (03): يمثل توزيع أفراد العينة حسب نوع المسكن .

نوع السكن	تكرار	%
فيلا	17	83 ،9
سكن أرضي	81	82،46
شقة	60	68،34
بناء قصديري	15	67،08
المجموع	173	00،100

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أن معظم أفراد العينة يتمركزون في مساكن أرضية ذات طابع إما تقليدي أو عصري وذلك بنسبة 46،82 %، و34،68 % هم الذين يقيمون في شقق أما المقيمين في مساكن راقية (فيلا) فتصل نسبتهم إلى 9،83 %، أما نسبة 08،67 % فهي تخص أصحاب المساكن القصديرية .

تقتضي الحاجات الإنسانية الأولية وجود مأوى وراحة ونوم، بل يتعدى إلى كونه مجال اجتماعي واقتصادي وثقافي وحتى نفسي، فالمسكن بالغ الأهمية في حياة الأفراد خاصة إذا كان ذا تهوية جيدة، وإضاءة، مع اتساع مجاله، يكون له تأثيرات جيدة إذ يحقق قسطا كبيرا من الراحة النفسية والبحث على النشاط، كما أنه يعبّر عن الإمكانيات المادية التي تتمتع بها الأسرة، فالتجهيزات والأثاث والوسائل الضرورية

والألعاب، والمقتنيات بصفة عامة دور كبير في تنمية الفرد وإعداده العقلي والانفعالي، فشتان بين الأسرة التي توفر لأبنائها، وسائل المعرفة ووسائل الاتصال. والأسرة التي لا تتمكن لسبب أو لآخر من توفير ذلك. إذ تعمل هذه الوسائل على التثقيف والدفع نحو الدراسة والتفتح الذهني والمعرفي. والعكس صحيح. وخلاصة القول أنه إذا تطابق الوسط مع حاجيات الأسرة ساد الانسجام بين الأفراد واستقر التوازن النفسي لهم.

5- علاقة المستوى الاقتصادي بعملية التربية:

بفعل التأثيرات الاقتصادية المصاحبة للوجود الاجتماعي، جُعلت الحدود غير مرسومة بينهما مما يؤدى بنا إلى الجمع بينهما في شكل أو آخر. حيث يحصل هذا الارتباط بما نسميه وتتحد وفقه الطبقة الاجتماعية والمهنية، والتي نجد لها تأثيرات مختلفة ومتعددة. كما أشار بورديو في علمية الإنتاج التي تمارسها الأسرة، ومن ثمّ الطبقة الاجتماعية.

إذ تواجه الأسر ضغوط كثيرة في أداء وظيفتها التربوية، وأبرز هذه الضغوط على الإطلاق "الحجة والعوز" اللذين يؤثران في الانسجام الخارجي بين الأسرة ومحيطها ، كنوع من الاغتراب، كما يؤثر في الانسجام الداخلي بين الأفراد كشكل من أشكال عدم التكيف ، ذلك أن الأمر يتعلق بمطالب الأبناء المتزايدة مع قدرات الآباء المحدودة، ممّ يولد توتر في العلاقة، ربما تؤدي إلى العنف والضرب والتسلط... وهذا الأسلوب في التربية القائم على العنف اللفظي والفعلي يؤثر بدوره على بناء شخصية الطفل، وعلى سلوكه وانسجامه الاجتماعي الخارجي، الذي قد يوّلد عقد نفسية يصعب التخلص منها في المستقبل، وأهم شيء في الأمر هو أنه لا يؤدي إلى إنتاج شخصيات قوية جريئة ومبدعة معبرة عن طاقاتها وأفكارها. والمؤثر الكبير في هذا كله المستوى الاقتصادي والتعليمي للأسرة،

إذ يلاحظ انه كلما ارتفع المستوى الاقتصادي والتعليمي للأسرة أدى ذلك إلى تحسين في وظيفتها التربوية وفي أساليب تعاملها مع الأبناء. وأكثر حرصا على تربيتهم والعناية بتنمية قدراتهم واستثمارها وعدم إهمالهم...، ومع كل التطورات التي عرفها المجتمع الحديث وظهور المؤسسات التربوية التي تشارك الأسرة وظيفتها التربوية، تبقى هي المؤسسة الأكثر قدرة وتأهيل لذلك، لعدة عوامل موضوعية. كما استخلصت إحدى الدراسات : "أن الأسرة هي المؤسسة الوحيدة التي تقوم على أساس عضوي وليس على أساس وظيفي، وهذا يعطينا فرصة نادرة لتحقيق الضغوط النفسية والمادية على أفرادها، تعني ذلك أن أيّ مؤسسة اجتماعية اعتبارا من المدرسة تقوم على أساس وظيفي، هذا يعني أن لكلٍ همومه وواجباته وحقوقه. أما في الأسرة فإن بين أعضائها رابطة عضوية بحيث يمكن تفريغ الهموم وحل المواقف الصعبة.

ويُنظر للتربية باعتبارها من أهم وسائل الضبط الاجتماعي، وهي من وظائف الأسرة التي تلقن أبنائها وتعلمهم أساليب السلوك القويم المقبول اجتماعيا. وتعلمهم الممنوع والمسموح به والحلال والحرام، قبل خروجهم للمجتمع الأكبر.

ومن أكبر المشاكل التي تصادف التربية الأسرية وتفقدها معناها وقدراتها المختلفة هو تحول الأسرة إلى شبه فوقعة فارغة وخالية من التفاعل والاتصال، لأسباب عديدة مثل: تعدد وصراع الأدوار، وهذا من شأنه القضاء أو التقليل من أهمية التربية واختفاء هذا الأخير يكون نتاج لاختفاء التفاعل للبناء...[18](بتصرف).

وانطلاقا مما تم التطرق إليه فإن جل الدراسات تؤكد على أهمية المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، الذي يحدد فيما بعد ضمن إطار اجتماعي مهني في البناء الاجتماعي. إذ أن أغلب الناجحين ينحدرون من طبقة اجتماعية ومهنية ميسورة ومتوسطة والتي حمل تصورا واضحا حول تمدرس الأبناء وقدرتهم على توجيههم وفق الإمكانيات المادية المتاحة، وكذا وفق تصوراتها للمهن التي تحملها أو المتوقعة. وسنتطرق في الجدول التالي إلى سبب إقبال الاولياء على المدارس القرآنية كشكل من أشكال التوجه الديني في التربية .